فتش عن المرأة

فتش عليها

— ١ —

كما ذكر كاتب عربي في كتاب او صحيفة هذا القول : « فتش عن المرأة » عزاه الى الافرنج او الى الفرنسيس منهم . والقوم الغربيون — وفضل الفاضل لا يجحد — قوالون فعالون ومخترعون . ومن لابسهم في هذا الشرق او في بلادهم وعرفهم جيداً — ائخنهم معرفة — لا يستعجب من أقوالهم وأعمالهم . والعرب تقول : « الشيء من معدنه لا يستغرب » ولكن ذلك القول قد قالته العربية منذ القديم ، وانتظمه شعرها . فان ينسبه الأديب العربي اليها أولى وأحق بل أصح وأصدق . ولن تقول : ان الغربية قد اخذته من العربية ، فالمرأة في الشرق هي المرأة في الغرب . — يا أخا العرب — ما تبدل طبع ، ولا تحولت غريزة . وان حالا أوحت الى شاعرنا (المتنبي) او المتنبه كما تلقبه اخواننا المغاربة ان يقول :

اذا غدرت حسناء أوفت بعهدها ومن عهدها ألاّ يدوم لها عهد [1]

وان عشقت كانت أشد صبابة وان فركت فاذهب فما فركها قصد [2]

وان حقدت لم يبق في قلبها رضى وان رضيت لم يبق في قلبها حقد

كذلك أخلاق النساء وربما يضل بها الهادي ويخفى بها الرشد [3]

هي الحال التي تلهم الاديب الغربي مثل مقال العربي .

---

(١) حبيب يقول : فلا تحسبا هنداً لها الغدر وحدها سجية نفس ، كل غانية هند

(٢) قال ابو عبيد : الفرك ان تبغض المرأة زوجها وهذا حرف مخصوص به المرأة والزوج ولم اسمع هذا الحرف في غير الزوجين [اللسان] (٣) ومن قول أحمد :

ومن خبر الغواني فالغواني ضياء في بواطنه ظلام

اذا كان الشباب السكر والشيـ ـب هما فالحياة هي الحمام

في هذا البيت التاريخ المختصر لحياة البشر .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فهذه الحقيقة : « فتش عن المرأة » هي من مقولات هذه اللغة . وقد وردت منظومة في بيتين رواهما العلامة (محمد بهاء الدين العاملي) في كتابة (الكشكول) وقد ولد صاحبه سنة (٩٥٣) وتوفي سنة (١٠٣١) والبيتان هما :

اذا رأيت أموراً منها الفؤاد تفتت
فتش عليها تجدها من النساء تأتت

— ٢ —

نجي الى (التفتيش عليها) :

قالت العربية الأولى : « فتشت الشيء فتشاً وفتشته تفتيشاً مثله » كما في الصحاح ومثل ذلك في اللسان والقاموس والتاج وليس فيهن في (فتش) إلا ما نقلنه . ثم جاء المولدون فقالوا :

١ — فتشت عنه : سألت واستقصيت في الطلب كما في المصباح[1] . وفي الصحاح في (بحث) لا (فتش) : بحثت عن الشيء وابتحثت عنه اي فتشت عنه . وطبعة الكتاب غير مشكولة ، وقد شدد الفعل في طبعة مختاره . وفي اللسان في (بحث) استبحثت وابتحثت وتبحثت عن الشيء بمعنى واحد اي فتشت عنه ، وسورة براءة كان يقال لها سورة البحوث سميت بذلك لانها بحثت عن المنافقين وأسرارهم اي استثارتها وفتشت عنها ، والفعل في الطبعة مشدد . ومثل ذلك في هذه المادة : (بحث) في التاج والنهاية وهذه أوردت مصدر المشدد فقالت : « والتفتيش عنها » وجاء فتشت عنه بالتشديد في شعر المتنبي في الملك كافور[2] :

ولكنه طال الطريق ولم أزل أفتش عن هذا الكلام وأذهب

(١) وفي المصباح . وفتشت الثوب بالتشديد والفاشي في الاستعمال (٢) في [النجوم الزاهرة] عاش كافور بضعا وستين سنة ، وكانت امارته على مصر اثنتين وعشرين سنة ، منها استقلالا بالملك سنتان وأربعة اشهر ، خطب له فيها على منابر مصر والشام والحجاز والثغور ، وحمل تابوته الى القدس فدفن به ، وكتب على قبره :

ما بال قبرك (يا كافور) منفرداً بالصحصح المرت بعد العسكر اللجب
يدوس قبرك آحاد الرجال وقد كانت أسود الشرى تخشاك في الكتب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٢ — فتشت فيه كما في الاساس قال : « تقول فتش ولا تفتش اي لا تستبرخ من فتش في الامر وفتش اذا استرخى ولم يجد » وقد فتشت في المعجمات القديمة والحديثة فلم أجد (فتش فيه) الا عند صاحب الكشاف . وياليت أبا القاسم لم يهمل في الاساس (بحث) حتى نجد (بحث فيه) فمشكلتنا هنا مثلها في (فتش فيه) والمعجمات لم تجلب لنا الا (بحث الشيء وبحث عنه وبحث في الارض « فبعث الله غرابا يبحث في الارض » ولكن أبى العلماء السابقون المحققون الباحثون في العلوم والفنون والمسائل والحقائق والدقائق الا (البحث فيها) حتى قال صاحب التاج : « وكثيراً ما يستعمله المصنفون متعديا بفي فيقولون بحث فيه ، والمشهور التعدية بعن كما للمصنف — يعني صاحب القاموس — تبعاً للجوهري » والبحث عن الشيء ليس كمثل البحث فيه . وفي نجعة اليازجي : « فحصت الشيء وبحثته[1] وبحثت فيه وبحثت عن حاله » أصلح الله حالنا .

٣ — فتشت عليه . كما قال ذلك الشاعر (فتش عليها) .

وقد عد العلامة احمد فارس في كتابه (سر الليال ص ٣١٣) التعدية بعلى عامية فقال : « والعامة تقول الآن فتش عليه » .

وجاء العلامة اليازجي من بعده مغلطاً في ضيائه (السنة ١ ص ٤٨١) : ويقولون « فتش على الشيء والصواب تعديته بعن مثل بحث وفحص » .

ثم اطلع الأستاذ داغر على ما سطره اليازجي فغلط في (تذكرته) ص ٣٢ تغليط سابقه .

وقد وجدت (فتش عليه) في هذه الكتب ، وأغلب الظن أن ليس هناك تصحيف او تطبيع[2] :

---

(١) اخواننا المصريون اكثرهم لا يقولون الا بحث الشيء . وهوصحيح وبعضهم يقول طبعي وبدهي مكان طبيعي وبديهي كما قالت العربية ناسية منذ الف سنة . وقدصار كتاب من العرب الشاميين يقولون طبعي وبدهي . اقتربت الساعة ... (٢) التطبيع : الخطأ المطبعي . قلت في كلمة في البلاغ ٨ شباط ١٣٥٢ : وقد أردت ان اسمي مثل هذا قلت : لما كانت الصحيفة والصحف والصحائف والقلم الكاتب قالوا : (التصحيف) فهل لنا — واليوم يوم المطبعة — ان نقول (التطبيع) وقل من يستعمل اللفظة في هذا الزمان للمعنيين القديمين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١ — وفيات الأعيان ج ١ ص٦٢٧ في سيرة المبرد[١]: «فقعد قدامها يفتش عليه»

٢ — صيد الخاطر للامام ابن الجوزي ص ٨ : ولو فتشوا على سر هذه الأشياء

٣ — الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح للامام العبقري ابن تيمية ج ٤ ص ١٤١ : فلم يجدوه حتى قام عليّ بنفسه فتش عليه

٤ - الضوء اللامع لاهل القرن التاسع للسخاوي ج ١ ص٧٨ : وأحذق في التفتيش عليها

٥ - الطبقات الكبرى للشعراني ج ١ ص ١٥٥ : انما قالوا حسنات الأبرار سيئات المقربين لان المقرب يراعي الخطرات واللحظات ، ويعد ذلك من الهفوات ، ويفتش على هواجس النفوس ، ويراقب خروج أنفاسه ، ويخاف من حسناته كما يخاف المذنب من سيئاته[٢] والأبرار لا يقدرون على هذه الحال»

فالعربية الأولى — كما قالت لنا المصنفات التي وقفنا عليها — لم تعدّ (فتش) بحرف ما . ثم عداها الزمان بـ (عن) و (في) و (على) ولهذا الحرف الأخير من المعاني المذكورة في كتب اللغة والنحو ما يماشي الفعل (فتش) يمشي معه .

فهل نخطئ اذا قلنا اليوم : يا قوم ، فتشوا على الحقيقة ...؟

محمد اسعاف النشاشيبي

---

(١) المبرد بفتح الراء لا كسرها كما ظن ياقوت والسيوطي والشنقيطي والمرصفي .

(٢) قد يعاون هذا الكلام على تفسير بيت لابي تمام اتعب المفسرين وصاحب [المثل السائر] وصاحب [الضياء] يوم سأله عن معناه صاحب [الفيء] والبيت هو :

يتجنب الآثام ثم يخافها فكأنما حسناته آثام

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net